العسكرية الفلسطينية يتطلب تقييم المنهج الذي يوجهها على كل مستوى تكتيكي وعملياتي واستراتيجي، قبل تقييم النواحي الفنية والتنفيذية.

يتضح على الفور أن مناقشة استراتيجية وأهداف حركة المقاومة الفلسطينية هي مسألة سياسية، فما هي، اذاً، ضرورة مناقشة الممارسة العسكرية في هذا السياق؟

تشهد الساحة الفلسطينية تداخلاً شديداً بين العوامل السياسية والعسكرية لا تعرفه أية حركة مسلحة معاصرة اخرى، نظراً الى تعقيد الوضع العربي وحالة التشتت الجغرافي الفلسطيني، الى حد أن مجرد بيان سياسي تصدره قوة اقليمية أو دولية رئيسة يمكن أن يأتي بعواقب جسدية على الحركة الفلسطينية؛ مما يعني أن كل تحرك سياسي، أو حتى دبلوماسي، سينعكس على الارض عسكرياً. ويظهر في المقابل، أن كل اختيار للتكتيكات أو الاستراتيجية العسكرية سيأتي بانعكاسات سياسية ودلالات فكرية وأخلاقية. فيتسم تقييم الممارسة العسكرية بأهمية حيوية بالنسبة الى مناقشة القضايا السياسية لحركة المقاومة الفلسطينية.

لقد ادت ظروف الشعب الفلسطيني بين ١٩٤٨ و١٩٦٧ الى فقدان الهوية الوطنية والتشتت السياسي والتنظيمي، مما جعل من إعادة الهوية وبلورة المواقف السياسية هدفاً حيوياً للحركة الفدائية الناشئة. وقد قدمت هذه الحركة المثال في اعتناق عقيدة الكفاح المسلح وفي تنفيذ العمليات العسكرية، منذ بداية العام ١٩٦٥، مما اتاح انجاز الهدف المذكور وأتاح اعادة الشعب الفلسطيني الى الخارطة السياسية الدولية كما تبين من خلال سلسلة الاختراقات الدبلوماسية في السبعينات واوائل الثمانينات. وأدى هذا التطور التاريخي الى الاستنتاج المنهجي أن الانجاز العسكري الفلسطيني يقاس بالمردود السياسي والمعنوي وليس بمعايير جامدة كعدد الشهداء أو الاعداء القتلى أو كمساحة الارض المفقودة أو المسترجعة. واذ يصح هذا الاستنتاج كلياً، الا انه لا يلغي اهمية تطوير الممارسة العسكرية كي يتنامى المردود السياسي. فيجب اكتشاف الحد الفاصل، الدقيق، بين إدراك غلبة الحساب السياسي على المردود العسكري عند تقييم الاداء العسكري الفلسطيني، وبين عدم الاقرار بأهمية التأثير المتراكم، سلباً أم ايجاباً، لمستوى التنفيذ الميداني ولمحصلة الاداء التكتيكي والتقني على المردود السياسي العام.

يؤدي الالتباس حول تحديد المعايير لقياس الاداء العسكري وحول تحديد التوازن الصحيح بين المردود السياسي والعسكري، إلى عدة أخطاء منهجية، فيشيع خطأ مفاده انتقاد تلك العمليات العسكرية الفلسطينية التي تهدف، تحديداً، الى تحقيق نتيجة سياسية أو دبلوماسية أو معنوية أو إعلامية فورية معينة ـ كالعمليات الاستعراضية أو التي تنفذ بمناسبة محددة للتذكير بوجود الشعب الفلسطيني أو عرقلة تحرك دبلوماسي معادٍ ما أو التعبير عن التمسك باسلوب الكفاح المسلح ـ وكأن تلك العمليات لا يمكن لها أن تجسد استخداماً فاعلاً للاداة العسكرية ضمن المجموعة الواسعة والمتنوعة للاشكال النضالية. ويرافق هذا الخطأ الميل الى تقييم الممارسة العسكرية الفلسطينية من خلال معايير تقنية جامدة لا تأخذ في حسابها الخصوصيات السياسية والتاريخية للحالة الفلسطينية، كالمقارنة بتجارب حرب العصابات السوفياتية، والصينية، والفيتنامية، والكوبية، أو اللجوء الى حسابات أعداد القتلى والآليات المعطلة وما شابهها. إن من يرتكب هذين الخطأين يسيء فهم حقيقة تشابك العوامل السياسية والعسكرية ومدى التأثير المتبادل فيما بينها، وينسى أن